

أضواء البيان

@ 14 @ يَنْذَالُوْا° خَيْرًا° { ، قال رحمه الله تعالى عندها : ذكر جل وعلا أنه { اللّٰه° السّٰذِیْنَ كَفَرُوْا° بِرِغْدِیْطِهِمْ° } الآية . ولم يبين السبب الذي ردهم به . ولكنه جل وعلا بين ذلك بقوله : { فَأَرْسَلْنَا عَلَیْهِمْ رَّیْحًا° وَجُنُودًا° لِّسَمِّ° تَرَوْهَا° } ا . . .

وهنا أيضاً في هذه الآية أسند إخراجهم إليه تعالى مع حصار المسلمين إياهم ، وقد بين تعالى السبب الحقيقي لإخراجهم في قوله تعالى : { فَأَتَاهُمُ اللّٰه° مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوْا° وَقَذَفَ فِی قُلُوبِهِمْ الرُّعْبَ° } ، وهذا من أهم أسباب إخراجهم ، لأنهم في موقف القوة وراء الحصون ، لم يتوقع المؤمنون خروجهم ، وطنوا هم أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقد كان هذا الإخراج من الله إياهم بوعده سابق من الله لرسوله في قوله تعالى : { فَإِنْ عَامَدُوا° بِمِثْلِ مَا آَمَنْتُمْ بِهِ° فَقَدَرَاهُمْ تَدْوًا° وَسَوْفَ يُنْزَلُ الْوَقْدُ° فَإِنَّ زَمَّامَهُمْ فِی شِقَاقٍ° فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّٰه° وَهُوَ السَّمِیْعُ الْعَلِیْمُ° } . . .

وبهذا الإخراج تحقق كفاية الله لرسوله صلى الله عليه وسلم منهم ، فقد كفاه إياهم بإخراجهم من ديارهم ، فكان إخراجهم حقاً من الله تعالى : وبوعده مسبق من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم . . .

وقد أكد هذا بقوله تعالى مخاطباً للمسلمين في خصوصهم : { وَمَا أَزِفْتُكُمْ° عَلَیْهِمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا° وَلَا رِکَابٍ° وَلَا كِنَ° اللّٰه° يُسَلِّطُ رُسُلَهُ° عَلَی مَنْ يَشَآءُ° وَاللّٰه° عَلَی كُلِّ شَيْءٍ قَدِیْرٌ° } وتسليط الرسول صلى الله عليه وسلم هو بما بين صلى الله عليه وسلم في قوله : (نصرت بالرعب مسيرة شهر) وهو ما يتمشى مع قوله تعالى : { وَقَذَفَ فِی قُلُوبِهِمْ الرُّعْبَ° } . . .

وجملة هذا السياق هنا يتفق مع السياق في سورة الأحزاب عن بني قريظة سواء بسواء ، وذلك في قوله تعالى : { وَأَنْزَلَ السّٰذِیْنَ طَآهِرُهُمْ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن صَيَّاصِيهِمْ° وَقَذَفَ فِی قُلُوبِهِمْ الرُّعْبَ° فَرِيقًا تَقْتُلُونَ° وَتَأْسِرُونَ° فَرِيقًا وَأَوْرَثَكُمْ° أَرْضَهُمْ° وَدِيَارَهُمْ° وَأَمْوَالَهُمْ° } وعليه ظهرت حقيقة إسناد إخراجهم من الله ، فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الرعب . كما أنه هو تعالى الذي رد الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً . بما أرسل عليهم من الرياح والجنود ، وهو الذي كفى المؤمنين القتال . وهو تعالى الذي أنزل بني قريظة من صياصيتهم .

وورث المؤمنین دیارهم وأموالهم ، وكان اؑ على كل شيء قديراً . .
ورشح لهذا كله التذیل فی آخر الآیة . یطلب الاعتبار والاتعاظ بما فعل اؑ بهم :